

سلمية

مركز الدعوة الإسماعيلية

المستشرق كرامرز J. H. Kramers

(سلمية) بلدة صغيرة من أعمال الشام في الناحية التي إلى الشرق من نهر العاصي على مسيرة خمسة وعشرين ميلاً عن حماة، وخمسة وثلاثين ميلاً (أي مرحلة يوم) شمال شرقي حمص (انظر عن موقعها بالضبط خريطة كبيرت VOM MITTELMEER: OPPENHEIM KIEPERT ZUM PERSICHEN GOLF ج ١ قسم ٢، ص ٤٠١ وتقع سلمية في سهل خصيب على ارتفاع ١٥٠٠ قدم على سطح البحر الجنوب من جبل الأعلى، وعلى حافة بادية الشام، والنطق القديم الأصح هو (سلمية) الاصطخري: المكتبة الجغرافية العربية، ج ١ ص ٦١ ابن الفقيه: المكتبة الجغرافية العربية ج ٥، ص ١١٠) على أن الرسم سلمية نجده أيضاً في تاريخ متقدم جداً (المقدسي: المكتبة الجغرافية ج ٣، ص ١٩٠، ابن خردابة: المكتبة الجغرافية العربية ج ٦ ص ٧٦، ٩٨) وهو الرسم الذي يكاد يجمع الناس على استعماله الآن (انظر أيضاً ياقوت: المعجم طبعة فستنفلد ج ٣ ص ١٢٣ SEMITIC LITTMANN INSCRIPTIONS ص ١٦٩ وما بعدها) والنسبة إلى البلدة هي سلمى والظاهر أن سلمية هي نفسها سلميساس أو سلمنياس القديمة التي ازدهرت في العهد المسيحي على أن إشارات الكتاب القدامى إلى هذا المكان مشكوك فيها.

ويذكر ياقوت (ج ٣، ص ١٢٣) اشتقاقاً شائعاً للبلدة فهو يقول إنها كانت تعرف في الأصل باسم مائة نسبة إلى السكان المائة الذين بقوا بعد أن خرجت بلدة المؤتفة.

وقد كان موقع البلدة ذا شأن بوصفها ثغراً من ثغور الشام حيث كانت تلتقي الطرق الكبرى الآتية من البادية (تدمر) ومن العراق على أنه لم يكن لسلمية أي شأن حربي كبير.

وقد غزاها العرب سنة ١٥هـ وأصبحت من بلاد جند حمص ولم تدخل في ناحية حماة لأغراض إدارية إلا سنة ١٥٠٠ أي في عهد المماليك وقد حدث في القرن الثاني للهجرة، وبعد انتصار العباسيين أن استقر فيها أحفاد صالح بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي ويقال إن البلدة تدين بالفضل العظيم لابن صالح بن عبد الله الذي أعاد بناءها واتخذ التدابير لري أراضيتها، وقد كان الخلفاء يقدرون تقديراً كبيراً ابن عمهم هذا أي عبد الله فقد تزوج أخت المهدي وولي العراق، وزاره في سلمية وعجب من إقامته فيها (الطبري ج ٣، ص ٥٠٠)، وثمة أيضاً إشارات أخرى لإقامة كثير من الهاشميين في سلمية.

ولم يبق شيء تقريباً من آثار هذا العهد في سلمية، وهناك كتابة خاصة بأساس مسجد نقشت على حجر (لا يقوم في مكانه الأصلي) في مدخل الحصن، والراجح أن تاريخ هذه الكتابة هو سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م وأنها كانت تخص مسجداً أقامه هؤلاء الهاشميون، ولعل القرامطة دمروه حوالي سنة ٢٩٠هـ (٩٠٢-٩٠٣م).

ولا تزال توجد في الحصن كتابة أخرى ترجع إلى خليفة من الخلفاء العباسيين ويقول لیتمان LITTMANN برأي ليس بمستبعد وهو أن هذه الكتابة هي وكتابين آخرين ترجع إلى المدة التي تبدأ بسنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م أو انظر عن رأي آخر في ذلك M. HARTMAAN في Z.D.P.V (ج٢٢، ص٥٥) وقد أصبحت البلدة حوالي عام ٢٥٠هـ/٨٦٤م المركز السري للدعوة الإسماعيلية ولعل السبب في ذلك أنها كانت مستقر فرع من الهاشميين كما كان موقعها منعزلاً عن غيرها. ومن العسير أن نتبين على وجه اليقين من شيوخ الإسماعيلية الأكابر متى كان أول شيخ استقر فيها، ومهما يكن من شيء فإن هذا الشيخ لم يكن من المتقدمين بحيث نقول إنه هو عبد الله بن ميمون نفسه (وهذا هو رأي دي ساسي، ذلك أن عبد الله كما يرجح دي خويه DE GEOJE MEMOIRE SUR LES CARMATHES DU BAHRAIN (لیدن ١٨٨٦م، ص١٩) لم يرق قط في سلمية فيما يظهر ويبن أن أول شيخ أرسل إليها هو حسين بن عبد الله بن ميمون (DE GOEJE الكتاب المذكور ص٢١) حيث ولد ابنه سعيد عبید الله الذي قدر له أن يكون أول خلفاء الفاطميين، وكانت ولادته عام ٢٥٩هـ أو ٢٦٠هـ الموافق ٨٧٣-٨٧٤م (ابن خلكان: وفیات الأعيان طبعة فستنفلد رقم ٢٦٥) وثمة رواية يشوبها الهوى أوردها ابن الأثير (ج٨، ص٢٢) مؤداها أن عبید الله كان ابن حداد من أهل سلمية تزوجت أرملته من بعد حسيناً. ولما توفي حسين حوالي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣-٨٨٤م أصبح أخوه أحمد بن عبد الله بن ميمون ويعرف أيضاً بابن شلفغ الشيخ الأكبر للإسماعيلية والوصي على ابن أخيه عبید الله إلى حين وفاته (حوالي ٢٨٠هـ، ٨٩٤م).

وظل عبید الله مقيماً في سلمية حتى عام ٢٨٩هـ/٩٠٢م حين خرج في رحلته الموفقة على شمال إفريقيا (DE: GOEJE كتابه المذكور ص٦٤) وفي العام التالي اكتسح القرامطة أو كادوا سلمية قادمين من العراق بزعماء حسين الذي تلقب بالمهدي وقد كانت سلمية موطن السابقين إلى الإسلام وموطن الأعداء الألداء المتأخرين للقرامطة -هي البلدة عوملت من دون بلدان الشام جميعاً، أسوأ معاملة (DE: GOEJE الكتاب المذكور ص٥٠) على أن الخليفة لم يلبث أن استعاد بلدان الشام، وليس من المستحيل أن يكون الحصن المربع الجوانب القائم في وسط البلدة قد بني في عهد الإسماعيلية ويذهب فان برخم VAN BERVHEM إلى أنه يرجع من حيث العمارة إلى عهد متقدم على هذا.

ولا جدال في أن سلمية كانت القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تدخل في المنطقة التي كان يقطنها البدو (حملة سيف الدولة، انظر M. HARTMAAN في Z.D.P.V ج٢٢، ص١٧٤، ١٧٦) وقد ضمت في نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلى أملاك زعيم

قطاع الطرق خلف بن ملاعب الذي دان بالولاء للفاطميين وثمة شاهد على ذلك تجده في نقش بالخط الكوفي على عاتق باب المسجد الذي بني ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ويقول ابن الأثير (١٠ ص ١٨٤) إن خلفاً استولى على سلمية سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وكان قد غدا من قبل سيد حمص ولكنه فقد حمص سنة ٤٨٥هـ والبلاد التي تتبعها فقد استولى عليها تتش السلجوقي ملكشاه وقد ذكر خلف في هذا النقش أنه أقام مشهداً على قبر أبي الحسن على ابن جرو وقال عن نفسه إنه صانعه أي خادمه (وقد أسهب هارتمان في الكلام عن خلف في V.P.D.Z ج ٢٤ ص ٥٨-٦٥).

ولم يرد ذكر سلمية قط في الحروب الصليبية على أنها حصن من الحصون، ولكنها ذكرت كثيراً بوصفها ملتقى الجيوش الإسلامية.

وكلن مصيرها السياسي من مصير حمص ومن ثم فإنها قد انتقلت إلى يد رضوان بن تتش في سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢-١١٠٣م وفي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧-١١٣٨م خرج الأتابك زنى نن سلمية وكان يحاصر حمص حينذاك في حملته على روم شيزر (ابن الأثير ج ١١، ص ٣٦ وما بعدها) وفي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤-١١٧٥م انتزع صلاح الدين البلدة هي وحمص وحملة من الأمير فخر الدين الزعفراني (ابن الأثير ج ١١ ص ٢٧٦) وفي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م نجد الملك الكامل في سلمية فقد اتخذها مكاناً يثب منه على العراق وقدم أمير حماة عليه ليظهر خضوعه.

وبعد سنتين وهب الكامل البلدة لأسد الدين شيركوه فأعاد شيركوه بناء حصن شميمس إلى الشمال منها على قنن جبل الأعلى (ابن الأثير ج ١٢ ص ٣١٨، ٣٣٩).

وهو الحصن الذي دمره الزلزال الذي وقع سنة ١١٥٧م (كمال الدين: تاريخ حلب، ترجمة بلوشية باريس ١٩٠٠ ص ٢١).

وفي سنة ١٢٩٩م هزم المغول بقيادة غازان الجيش المصري في سلمية وأعقب هذه المعركة احتلال المغول مدينة دمشق مدة وجيزة.

وكانت سلمية في القرن الثامن الهجري جزءاً من الثغور الهامة (عرفت بالشرقية) لمملكة دمشق ويذكر أبو الفداء وكانت سلمية تقع في أرضه بصفته أمير حماة خبر قناة معلقة كانت تقوم بين سلمية وحماة وفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م خرج هود وجنوده لتطهير هذه القناة (سير أبي الفداء بقلمه في REC. DES HIST. CROIS HIST ORIENT ج ١، ص ١٦٨، ١٨٥) ولا وجود للقناة الآن وربما كانت هذه القناة هي القناة نفسها التي ذكر الدمشقي (ص ٢٠٧) أنها كانت قائمة بين حمص وسلمية والذي بناها هو عبد الله بن صالح العباسي.

ويتحدث ياقوت (ج ١ ص ١٢٣) في هذا الوقت عن سبعة محاربين للصلاة بالقرب من سلمية، وقد دفن تحتها بعض التابعين وهو يذكر أيضاً قبر النعمان بن بشير صاحب رسول الله.

وأصبحت البلدة عديمة الشأن في عهد الحكم التركي وقد هجرها أهلها أو كادوا في منتصف القرن التاسع عشر، وربما كان السبب في ذلك راجعاً إلى أنهم لم يجدوا من يحميهم كفاية من شر البدو على أن شيخاً من شيوخ الاسماعيلية هبط من جبال نصيرى واستقل فيها ونجح في

تعميرها هو وأتباعه.

وكان هذا الشيخ الذي لقيه فان برشم سنة ١٨٩٥ شابا يرجع بنسبه إلى عبد الله بن ميمون، وسرعان ما أفلح هؤلاء الإسماعيلية في الارتفاع بهذه البلدة إلى أوج الازدهار مما أغرى الحكومة التركية بإنشاء قضاء خاص سنة ١٨٩٢ في سليمة وجعلوه تابعاً لسنجق حماة في ولاية بيروت وقد قدر كوينية سنة ١٨٩٦ عدد سكان القضاء بـ ٥٣٠٨٤ نسبة شطرهم الأصغر من المسلمين والشطر الأكبر من المسيحيين ويقال إن عدد سكان المدينة في رواية هذا المصدر ٦٠٠٠ نسمة يضاف إليهم الدروز (ولعله يقصد بالدروز الإسماعيلية) والري في هذه البلدة على أحسن حال ومحصل الناحية يقوم في معظمه على القمح والخضر.

أما عن حصن شميمش فانظر VAN BER CHEM AND FATIO: VOYAGE EN SYRIA

ج١، ص ١٧١، ١٧٣.



شواهد لمزارات مقدسة قرب السلمية

